

التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية

**Knowledge Integration Between The Sciences Of The Arabic Language
And The Sciences Of Islamic Religion****"al-ttakmul al-ma'rifi bayn 'ulūm al-luġat al-'arabiyat wa 'ulūm al-šarī'at al-islāmiyyat"**

بنونس عليوي*

مختبر الأدب والبناء الحضاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول بوجدة، 60000، المغرب.

ALIOUI BenyounnesLaboratoire de Littérature et Développement Culturel, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines,
Université Mohammed Premier-Oujda, 60000, MOROCCObenyounnes2003@gmail.combenyounnes.alioui@ump.ac.maORCID ID: <https://orcid.org/0000-0001-8589-7109>

تاريخ النشر: 2021/05/15

تاريخ القبول: 2021/03/21

تاريخ الاستلام: 2021/02/11

لتوثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

بنونس، عليوي، ماي 2021. التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية. مجلة التراث، المجلد 11، العدد 01، من ص 26، إلى ص 47. [E-ISSN 2602-6813 ISSN: 0339-2253].

TO CITE THIS ARTICLE : Style ISO 690-2010

ALIOUI, Benyounnes, May 2021. Knowledge integration between the sciences of the Arabic language and the sciences of Islamic religion. AL TURATH Journal. volume 11, issue 02, P26 , P47. [ISSN: -2253 0339 E-ISSN. 2602-6813].

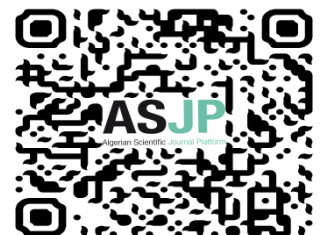
تنبيه:

ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء المؤلفين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة وتخضع كل منشورات للحماية القانونية المتعلقة بقواعد الملكية الفكرية، ويحمل أصحابها فقط كل تبعات مؤلفاتهم.

**Attention:**

What is stated in this journal expresses the opinions of the authors and does not necessarily reflect the views of the editorial board or university. All publications are subject to legal protection related to intellectual property rules, and their owners only bear all the consequences of their literature.

Open Access Available On:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323>المؤلف المرسل: * بنونس عليوي، البريد الإلكتروني: benyounnes2003@gmail.com

ملخص:

يحاول هذا البحث دراسة علاقة علوم اللغة العربية بعلوم الشريعة الإسلامية، فمن المعلوم أن علوم اللغة العربية قد كان لها دور مهم في خدمة علوم القرآن الكريم بصفة خاصة، وعلوم الشريعة بشكل عام مثل: علم الحديث وعلم الأصول وغيرها. ورغم أهمية الموضوع إلا أنه نادراً ما نجد دراسات تقاربه مقارنة تكاملية معرفية. لذلك سيكون من مهمات البحث دراسة علاقة التكامل والترابط بين بعض علوم اللغة العربية (علم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو وعلم البلاغة) بعلوم الشريعة الإسلامية. وذلك باستعمال المنهج التكاملي الذي يتجاوز المناهج التحزيبية، وقد تبين لنا من خلال البحث في المصادر الإسلامية أن علماء الشريعة قد استعانوا بالأدوات والمناهج اللغوية لفهم الدين الإسلامي من جهة ولاستنباط الأحكام من جهة ثانية.

كلمات مفتاحية: اللغويات؛ علوم الشريعة؛ التكامل المعرفي؛ الحضارة الإسلامية؛ المصادر الإسلامية.

تصنيفات JEL: C18 – D83 – Z13

Abstract:

This research attempts to study the relationship of the sciences of the Arabic language with the sciences of Islamic law. It is known that the sciences of the Arabic language have had an important role in serving the sciences of the Noble Qur'an in particular, and the sciences of Sharia in general, such as: hadith science, the science of origins and others. Despite the importance of the topic, we rarely find studies that approach this topic as an integrative approach to knowledge. Therefore, one of the tasks of the research will be to study the relationship of complementarity and correlation between some sciences of the Arabic language (phonology, morphology, grammar, and rhetoric) with the sciences of Islamic law. This integrative approach that transcends the piecemeal curricula. Through research in Islamic sources, it became clear to us that Sharia scholars have used linguistic tools and approaches to understand the Islamic religion on the one hand and to derive rulings on the other hand.

Keywords: Linguistic sciences; Sharia sciences; Cognitive integration; Islamic civilization ; Islamic sources.

JEL Classification Codes: Z13, D83 , C18

Résumé:

Cette recherche entend examiner le rapport des sciences de la langue au sciences de la charia islamique. On sait que les sciences de la langue arabe ont joué un rôle prégnant dans l'évolution des sciences du Noble Coran en particulier, et les sciences de la charia en général, telles que la science des hadiths et la principologie, etc... Malgré l'importance du sujet, on ne trouve guère d'études qui abordent la problématique selon une approche intégrative cognitive. Par conséquent, l'une des tâches de la recherche sera d'étudier la relation de complémentarité entre certaines sciences de la langue arabe (phonologie, morphologie, grammaire et rhétorique) avec les sciences du droit islamique, et ce en utilisant l'approche intégrative, qui va au-delà des approches parcellaires. Grâce aux recherches approfondies que nous avons effectuées en puisant dans des sources islamiques fondamentales, il s'est avéré que les spécialistes de la charia ont souvent recouru à des outils et des approches linguistiques pour comprendre la religion islamique d'une part et pour en tirer des lois d'autre part.

Mots clés: Linguistique; Sciences de la charia; Intégration cognitive; Civilisation islamique; Sources islamiques.

JEL Classification Codes: Z13 , D83 , C18

تعتبر اللغة العربية ركنا أساسيا من أركان الشخصية الإسلامية، وهي لغة القرآن، اصطفاها الله تعالى من بين سائر اللغات لتكون وعاء لكتابه العزيز، وجعلها لغة خاتم الأنبياء والمرسلين، تكفل الله بحفظها يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر - الآية: 15)، أما العلوم الشرعية، فهي هي مجموعة من العلوم المختصة بالشرع الإسلامي، وقد نشأت هذه العلوم خلال فترات متتالية لتأسيس المدارس الفقهية والمدارس العلمية الأخرى منذ نزل القرآن الكريم على خاتم المرسلين النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

وتعد العلوم اللغوية العربية من أهم الأدوات التي استعان بها العلماء في فهم النصوص القرآنية والحديثية واستنباط الأحكام الشرعية منها، وقد جعل العلم بأسرار العربية شرطا أساسيا من شروط الاجتهاد. وتحتلّ المباحث اللغوية حيزا ملحوظا في مباحث العلوم الشرعية، وتتألف هذه المباحث من موضوعات واسعة ومهمة تكفي لتؤلف تخصصا علميا مستقلا تتناسق مفرداته. ويؤيد هذا التوجه اهتمام علماء الشريعة بالمسائل اللغوية في كتاباتهم، ولكن ما قدموه بحاجة إلى جمع وتصنيف وترتيب في مبحث خاص، قد يتفرع هذا العلم إلى فروع داخلية يتم فيها التركيز على بعض المستويات أو الخصائص اللغوية.

هذه باختصار شديد العلاقة بين علوم اللغة وعلوم الشريعة، وهي علاقة تلازم وارتباط، بحيث لا غنى لأحدهما عن الآخر، باعتبار العربية لغة وسعت كتاب الله لفظا وغاية، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الزخرف - الآية: 3)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف الآية: 2) وقوله عز وجل: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر - الآية: 28). هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن اللغة العربية مدينة للقرآن الكريم خصوصا، وللدین الإسلامي عموما، لأن فضل وجودها واستمرارها في الانتشار يرجع إلى كتاب الله عز وجل.

وسيحاول هذا البحث كشف أوجه المشاكلة والتعلق والتكامل بين علوم اللسان العربي، وبين علوم الشريعة الإسلامية. وذلك من خلال مقارنة الأسئلة الآتية: ماهي العلاقة بين علوم الشريعة وبين اللغة العربية وعلومها؟ بمعنى آخر إلى أي حد استطاعت علوم اللغة العربية أن تعين الباحثين في التعامل الجيد مع نصوص الشرع؟

وقد رأينا ان نقارب هذه البنية الإشكالية من خلال المداخل الآتية:

— تعريف علمي الشريعة وعلوم اللغة العربية

● أهمية اللغة العربية في فهم علوم الشريعة

اللغة العربية مدخلا إلى فهم المصادر الإسلامية

كما وظفنا في البحث ما يناسب من الأمثلة التي تعزز التصور النظري الذي انطلقنا منه، من جهة أخرى اعتمدنا الأدوات الوصفية والتحليلية من أجل بسط أوجه التكامل والتعاقد بين المبحثين المذكورين. وذلك بهدف إيضاح بيان يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح الإشكالية ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

و للإجابة عن اشكالية البحث استعنا بالخطة التالية :

المبحث الأول: تعريف علمي الشريعة الإسلامية وعلوم العربية

المطلب الأول: تعريف علوم الشريعة

المطلب الثاني: تعريف علوم اللغة العربية

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم علوم الشريعة

المطلب الأول: علم القراءات وعلم الأصوات

المطلب الثاني: أهمية علم الصرف في استنباط الأحكام الفقهية

المطلب الثالث: أهمية علم النحو لعلوم الشريعة الإسلامية

المطلب الرابع: البلاغة وإعجاز القرآن

المبحث الثالث: اللغة العربية مدخلا إلى فهم المصادر الإسلامية

المطلب الأول: اللغة العربية أساس البناء الحضاري

المطلب الثاني: اللغة العربية والخطاب الشرعي

المبحث الأول: تعريف علمي الشريعة الإسلامية وعلوم العربية

من مبادئ البحث العلمي تعريف المفاهيم التي سيتم اختبارها ودراستها، أو التي وردت في فروض البحث وتساؤلاته، ذلك أن الكثير من المفاهيم يدل على معانٍ مختلفة، فالمفهوم الواحد قد يعني شيئاً معيناً في أحد العلوم، لكنه يعني شيئاً مختلفاً في علم آخر، كما أن المفهوم الواحد يدل على أكثر من معنى في مجال التخصص.

من هذا المنطلق تبدو ضرورة تحرير مفهوم علمي اللغة العربية والشريعة الإسلامية نظراً لارتكاز البحث عنهما في باقي المباحث.

المطلب الأول: تعريف علوم الشريعة

قبل الحديث عن تعريف علوم الشريعة لا بد من تدقيق النظر في مفهوم العلم أولاً، ومن تعريفاته: "المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس أو أصول ما تتم دراسته". ويلاحظ من التعريف الإشارة إلى مصادر العلم، وهي: الملاحظة والتجريب؛ للكشف عن الأسس والأصول لموضوع الدراسة، وهو تعريف شائع في كتب منهج البحث العلمي. ويمكن تقسيم العلوم حسب هذا التعريف إلى قسمين: علوم طبيعية (العلوم الحقة)، وعلوم الإنسان (العلوم الإنسانية)، على أساس أن هذا الصنف الثاني يمكن تعريفه: بالعلوم التي "تصبُّ اهتمامها على دراسة الإنسان من جوانبه المختلفة".

ويقصد بعلوم الشريعة العلوم التي تفرعت عن الكتاب والسنة، مثل علم العقيدة وعلم الفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث وغيرها من العلوم التي تخدم الدين الإسلامي.

وبالاعتماد على هذا التعريف يمكن تقسيم علوم الشريعة وفق النموذج الآتي:

- القسم الأول: علم العقيدة، ومداره على معرفة الأسماء والصفات، وما يُعتقد في أبواب الإيمان .
- والقسم الثاني: علم أحكام الأمر والنهي، والحلال والحرام .
- والقسم الثالث: علم الجزاء؛ وهو جزاء المرء على أفعاله في الدنيا والآخرة.

فهذا تقسيم العلوم الشرعية باعتبار أصول موضوعاتها؛ لأن مسائل العلوم الشرعية إما أن تكون علمية متوقفة على الإيمان والتصديق؛ فهذا من الاعتقاد، وإما عملية مبناها على اتباع الهدى بامثال الأمر واجتناب النهي، وإما أن يكون فيها بيان حكم متبّع الهدى وحكم مخالفه وجزائهما.

● علوم المقاصد وعلوم الآلة:

مدار العلم الشرعي على التفقه في الكتاب والسنة، ودراسة ما يعين على ذلك، ولذلك فإن العلوم التي يعتني بها علماء الشريعة يمكن تقسيمها إلى قسمين:

- علوم المقاصد: وهي العلوم المتصلة بالاعتقاد والعمل والامثال والتفكير والاعتبار؛ كعلم العقيدة والتفسير والحديث والفقه والسلوك والجزاء والفرائض والسيرة النبوية والآداب الشرعية.

- وعلوم الآلة: وهي العلوم التي تُعين على دراسة علوم المقاصد وحسن فهمها، ومنها: العلوم اللغوية، وعلم أصول الفقه، وأصول التفسير، ومصطلح الحديث.

المطلب الثاني: تعريف علوم اللغة العربية

علوم اللغة العربية هي المباحث التي تخدم اللغة العربية في مستوياتها اللغوية المتعددة، والهدف منها عصمة اللسان والقلم عن الخطأ. وهي -على المشهور- اثنا عشر علماً: وقد اختلفت نظرة الباحثين في تقسيمها، فهناك من عدّها اثني عشر وهي: علم الإعراب وهو (علم النحو)، علم الأبنية وهو (علم الصرف)، علم العروض، وعلم القوافي، وعلم متن اللغة، وعلم قرص الشعر، وعلم إنشاء النثر، وعلم قوانين الكتابة، وعلم البيان، وعلم المعاني، وعلم المحاضرات، وعلم الاشتقاق.

إلا أننا نجد ابن خلدون قد اعتمد تقسيماً رباعياً يقول في الفصل الخامس والأربعون "في علوم اللسان العربي": "أركان علوم اللغة أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب. ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة. وتتفاوت قي التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فناً فناً. والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة. وكان من حق علم اللغة التقدم، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه، فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر. فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة".

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم علوم الشريعة

اللغة العربية هي وعاء الشريعة، فلا يمكن للمشغل بعلوم الشريعة أن يستوعب نصوص الوحيين من الكتاب والسنة، ويفهمها الفهم الصحيح الخالي من الأسقام إلا إذا كان له حظ من علوم العربية، فلا يتأتى فهم نصوص الشرع لأجل العمل بها، واستنباط الأحكام للوقائع إلا بتعلم علم النحو: إذ لو ترك تعلمه لتخبط الناس في فهم نصوص الكتاب والسنة، وكان علمهم بها على غير هُدى، وربما عملوا بها على خلاف الوجه الصحيح.

وسنحاول في هذا الموضوع من البحث بيان أهمية علوم اللغة العربية بالنسبة لعلوم الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: علم القراءات وعلم الأصوات

يعود تاريخ اهتمام علماء العربية بالصوت إلى عهد تقعيدهم القواعد وتأسيسهم النحو، بل يكاد يسبق ذلك، ولعل خبر أبي الأسود حين وضع رموز الحركات يجلي شيئاً من هذه الأولوية: (جاء أبو الأسود إلى زياد فقال له: إِبْغِي كَاتِبًا يفهم عني ما أقول، فجيء برجل من عبد القيس فلم يرض فهمه، فأُتي بآخر من قريش فقال له: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعث شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين، ففعل. فهذا نقط أبي الأسود.

والقراءات القرآنية هي وجوه الأداء المختلفة التي يقرأ بها القرآن الكريم؛ من همز وتسهيل، وفتح وإمالة، وإدغام وتحقيق... وما أشبه ذلك من أصول هذا الفن.

وتشتمل هذه القراءات على وجوه أداء صوتية تفنن العلماء العرب المسلمون في تتبعها ودراستها وتقعيدها وتعليقها، سابقين إلى كثير من قوانين علم وظائف الأصوات *phonologie* التي أرستها الدراسات الصوتية الحديثة، كقانون الجهد الأقل *Le moindre effort* وقانون القوة *Energie* وقانون المماثلة *Assimilation* وغيرها.

وهذه تعتبر صورة من صور التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، تمثله العلاقة التي نشأت بين الدرس الصوتي والقراءات القرآنية؛ فالقراءات القرآنية شكلت أساس الدرس الصوتي عند العرب، وهو جانب من جوانب دراسة اللغة، وقراءة القرآن، وهي التي جعلت علماء العربية القدماء يتأملون أصوات اللغة ويلاحظونها؛ هذه الملاحظة الذاتية التي أنتجت دراسة طيبة للأصوات العربية لا تبتعد كثيراً عما يقرره المحدثون؛ كما أن أبا الفتح ابن جني، رائد علم الأصوات في العربية قد "شغل بدرس القراءات القرآنية على ما نعرف في الحثس"، بالإضافة إلى أن علماء النحو كانوا "أئمة في القراءة كما نعرف عن أبي عمرو بن العلاء والكسائي"؛ وهو وجه آخر من أوجه التفاعل والترابط بين الدرسين اللغوي والشرعي.

لقد استمالت الظواهر الصوتية اهتمام القراء، فجعلت الحديث عن الإجهار والإخفاء والاختلاس والإمالة طويلاً منثوراً في التراث العربي، وفي جميعه من مؤلفات ودراسات مستقلة هي من المصادر التي يمكن الرجوع إليها والاعتماد عليها؛

وبخاصة كتب القراءات، ومن هذه الكتب، النشر في القراءات العشر لابن الجزري، وجلال الدين السيوطي الذي ترك لمسة واضحة في مجال دراسة الأصوات اللغوية، وبخاصة القراءات القرآنية، فهذه المؤلفات وغيرها بعض من كل.

وعطفاً على ما سبق، اعتنى اللغويون القدامى بدراسة القراءات القرآنية، فأوفوها حقها في ضوء ما أتيح لهم من إمكانيات لغوية، غير أنّ ذلك لا يغني عن دراستها في ضوء ما يتاح لنا من إمكانيات لغوية حديثة، فتلاوة القرآن الكريم وتجويده لا يتأتى لدارسه إلا بمعرفة الوجوه والظواهر الصوتية التي تمتاز بها أصوات اللغة العربية، وقد ساهمت مصنفات وكتب القراءات القرآنية بمباحث صوتية غاية في دقة الدراسة والتحليل، مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين علم القراءات القرآنية والدراسات الصوتية، ومدى تفاعلها واعتماد كل منهما على الآخر.

المطلب الثاني: أهمية علم الصرف في استنباط الأحكام الفقهية

بيننا من خلال ما سبق أهمية علم الأصوات في فهم علوم الشريعة الإسلامية، وكما سبقت الإشارة في موضع سابق من البحث فإن علوم اللغة العربية متعددة، لذلك سنستعين بمبحث علم الصرف لبنين أكثر أوجه التكامل والتمازج بين علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة في فهم الدين الإسلامي. وعلم الصرف من أهم علوم اللسان العربي بحيث إنه يهتم بدراسة أبنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغيرات، لذلك فلا مناص من التعرف عليه لفهم كلمات النص القرآني والنبوي على وجه الخصوص.

للتصرف اصطلاحاً معنيان: أحدهما عملي، وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، كتحويل المصدر إلى اسمي الفاعل والمفعول، واسما لتفضيل، واسمي المكان والزمان، الجمع، التصغير والآلة.

والثاني علمي: وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء .

إن من الأهمية بمكان معرفة علوم اللغة لفهم نصوص الشريعة، وبالخصوص علم التصريف، ولهذا العلم أهمية كبرى في فهم النص، وسنوضح أهميته بالمثل الآتي:

• معنى حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ

-مَعْنَى حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً:

جاء في الكتاب العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (سورة الأنفال، آية 65)، فكيف نفهم معنى

التحريض؟ لا بد من معرفة الحَرَض، وهو الإشراف على الهلاك، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُوا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ

حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (85)، أي: لا تنسى ذكر يوسف حتى تشرف على الهلاك بسبب كثرة تذكرك ليوسف

عليه السلام، فهل معنى تحريض المؤمنين هو حثهم على الهلاك؟

- من فوائد التضعيف (التشديد، الشدّة) عَكْسُ المعنى:

لا بد من معرفة معنى التضعيف (التشديد) حرّض، والتَّخْرِيطُ، ومن معاني التضعيف أنه يؤدي إلى معنى معاكس للفعل الأصلي، فمثلاً الممرض أصلها من مَرِض: ومعنى الممرض: الذي يزيل المرض، وهكذا الزَّيَال: يزيل الزبالة، والمتَّهِّج من هَجَد بمعنى نام، ومن تَهَجَّد فقد أزال النوم، والتَّهَجَّد هو القيام من النوم.

المطلب الثالث: أهمية علم النحو لعلوم الشريعة الإسلامية

ترجع معاني النحو في اللغة إلى عدة معانٍ: منها القصد، والتَّحْرِيف، والجهة، وأصل هذه المعاني هو القصد؛ لأن النحو مأخوذ من قول أبي الأسود الدُّؤلي، عندما وضع كتاباً فيه جمل العربية، ثم قال: "... انخوا هذا النحو"؛ أي: اقصدوه، والنحو القصد، فسُمِّي لذلك نحواً".¹

أما في الاصطلاح، فيعرف فهو كما يقول ابن جني: "انتحاء سَمَتِ كلام العرب في تصرُّفه؛ من إعراب وغيره؛ كالثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنَّسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق مَنْ ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شَدَّ بعضهم عنها، رُدَّ به إليها".²

ويعتبر النحو هو منطق اللغة العربية، بحيث إنه يرتبط بها أكثر من باقي العلوم الأخرى، وهذا ما يفسر الاهتمام به أكثر من غير في تاريخ الحضارة الإسلامية. كما أنه يفيد في فهم علوم الشريعة الإسلامية ومن هذا المنطلق نجد مجموعة من العلماء كانوا يشجعون على تعلم هذا العلم قبل الانطلاق في التفقه في علوم الدين الإسلامي.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن، وفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولو سقطا لسقط الإسلام، فمن طلب النحو واللغة على نية إقامة الشريعة بذلك، وليفهم بهما كلام الله تعالى، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وليفهمه غيره، فهذا له أجر عظيم، ومرتبة عالية، لا يجب التقصير عنها لأحد.

كما أكد العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى على وجوب تعلم علم النحو على طالب العلم: لأن فهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وحفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى إلا بذلك.

وما ورد من أقوالهم في وجوب تعلم علم النحو وجوباً عينياً لدارس الفقه خصوصاً: ما ورد من اشتراط الجماهير من الأصوليين: كالشافعي والغزالي والجويني والآمدي والقرايى والفتوحى والطوفى والشوكاني وغيرهم فيمن يريد التفقه في الدين، وأن يصبح مجتهداً، اشتراطوا فيه أن يعلم كل ما يعينه في فهم نصوص الوحيين من علوم النحو والصرف والغريب والتراكيب العربية.

وتُعدُّ النشأة الأولى لعلم النحو أول شكل من أشكال التفاعل بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، حيث تُرجَّح أغلب الروايات في وضع علم النحو أن الباعث كان التصدي لتفشي اللحن في قراءة القرآن الكريم؛ فظهوره إنما كان "من أجل خدمة القرآن الكريم، حفاظاً على فصاحته وحفظاً للألسنة من التردى في معرة اللحن"³؛ ولي في "أمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم

باللغة"⁴ دليل على هذا الارتباط، بعد قراءة رجل لقوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: 3)، بجر اللام.

ويشكل التفاعل بين أصول الفقه وأصول النحو صورة من صور التفاعل بين الشريعة واللغة العربية؛ ذلك أن القضايا الفقهية لا تتحدد إلا بالكشف عن الفروق بين المعاني من جهة الألفاظ، وهو من عمل النحو، ولذلك تم الاعتماد على مقتضيات النحو لمعالجة القضايا الفقهية، واعتُبر علم العربية أحد ثلاثة مصادر منها استمدادات أصول الفقه. يقول الآمدي: "أما ما منه استمداده؛ فعلم الكلام والعربية والأحكام الشرعية... وأما علم العربية؛ فلتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية في الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة؛ من جهة الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم، والاقتضاء، والإشارة، والتنبيه، والإيماء، وغيره مما لا يُعرف في غير علم العربية"⁵.

ومن أوجه التفاعل أن النحاة أيضاً أخذوا ينظرون في المسائل الفقهية من خلال النحو. يقول الفراء بهذا الصدد: «قلَّ رجل أنعم النظر في اللغة العربية وأراد علماً غيره إلا سهل عليه»⁶؛ ويظهر التفاعل شديداً على مستوى المصطلحات المستعملة، حيث إن الناظر في كتب أصول الفقه وكتب أصول النحو "ليدهش من التشابه الشديد في مصطلحات هذين العلمين؛ فإذا كان... الفقهاء قد ذهبوا في تقسيم الحكم الشرعي إلى واجب ومحذور ومندوب ومكروه ومباح ووضعي، فكذلك ذهب النحويون إلى تقسيم الحكم النحوي إلى واجب وممنوع، وحسن، وقبيح، وخلاف الأولى، وجائر على السواء؛ وإذا كانت أدلة الفقه الرئيسية هي النقل والإجماع والقياس، كذلك أدلة النحو الرئيسية فإنها النقل والإجماع والقياس"⁷. وقد رتب السيوطي كتابه «الاقتراح في أصول النحو» على نحو ترتيب أصول الفقه في الأبواب والفصول. يقول في بيان العلاقة بينهما: "النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول"⁸، وإذا كان علماء أصول الفقه استمدوا قواعد وضوابط النظم في الكتاب والسنة من علوم اللغة العربية وأساليبها، فإن أي اختلاف في قضايا اللغة سيؤدي حتماً إلى اختلاف في الأحكام الشرعية، وكذلك كان، حيث اختلف العلماء في مسائل كثيرة تتعلق باللغة ووضعها ومعانيها واستعمالها، وكان لهذا الاختلاف أثر كبير في صدور الأحكام الشرعية واختلاف الفقهاء فيها،⁹ وذلك لأن «الباحث في الكتاب والسنة كثيراً ما تعرض له نصوص تشتمل على ألفاظ مشتركة، يدل كل منها على أكثر من معنى؛ وكان هذا سبباً في اختلاف أنظار العلماء فيما أراده الشارع من تلك الألفاظ»¹⁰، وكذلك الأمر في جريان الخطاب بين الحقيقة والمجاز، وتوظيف حروف المعاني فيه.

إن التكامل المعرفي بين أصول النحو وأصول الفقه كان بارزاً ومتبادلاً على مستويات عدة، منها: كون كل منهما من الآخر استمداداته على مستوى القضايا، وعلى مستوى المصطلح، وعلى مستوى مادة الاشتغال؛ وهو ما يشكل إحدى صور التفاعل بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية.

ومن أهم العلوم التي تظهر فيها أهمية تعلم علم النحو، علم الأصول، فهذا الأخير من حيث هو علم أدلة الفقه، وأدلة الفقه إنما هي الكتاب والسنة، وهذان المصدران عريان، فإذا لم يكن الناظر والمستنبط فيهما عالماً باللغة وأحوالها، محيطاً بأسرارها وقوانينها - تعذر عليه النظر السليم فيها، ومن ثم تعذر استنباط الأحكام الشرعية منها، ولذلك صار النحو شرطاً في رتبة الاجتهاد.¹¹

وبسبب موقع النحو وتصدره الرتبة السنية في العلوم، صنّف ضمن الثلاثة التي تكوّن علم الأصول، ويستمد منها مادته؛ قال الآمدي (ت 631 هـ): "وأما ما منه استمداده - أي: علم أصول الفقه - فعلم الكلام، وعلم العربية، والأحكام الشرعية".¹²

كذلك أدرك النحاة خصوصية العلاقة بين النحو والفقه، وتأثير أحدهما في الآخر؛ لذا نستطيع أن نتبين ملامح هذا التأثير في الدرس النحوي من خلال مقولة ابن الأنباري (ت 577 هـ) في مقدمة كتابه: (الإنصاف في مسائل الخلاف)؛ إذ يقول: "وبعد، فإن جماعة من الفقهاء المتأدين، والأدباء المتفقهين المشتغلين عليّ بعلم العربية.. سألوني أن أُلخص لهم كتاباً لطيفاً، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة (ت 150 هـ)؛ ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب...".¹³

من جهة أخرى يتركز التشابه بين علم أصول الفقه وعلم النحو بصورة خاصة في مبحث القياس، فضلاً عن التشابه في مصطلحات تقسيم الحكمين الشرعي والنحوي، وأدلة الفقه والنحو الرئيسة، وتجدر الإشارة إلى أن صلة النحو بالفقه وأصوله صلة ذات شقين. 14 شق تظهر فيه مقولات النحاة في أصول النحو محمولةً على أصول الفقه، ولعل ابن جني (ت 392 هـ) أول من أشار إلى الصلة القوية بين أصول الفقه وأصول الكلام، وبين أصول النحو في كتابه "الخصائص" في: نوع علل العربية، وجواز القياس، وتعارض السماع والقياس، والاستحسان، وتخصيص العلل، ومن ذلك قوله: "اعلم أن علل النحويين - وأعني بذلك حُذّاقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين - أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين".¹⁵

ومن أمثلة التي تدل على أهمية علم العربية لدارس الفقه من كتاب الله تعالى¹⁶:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6].

ففي هذه الآية عدة مسائل فقهية، كلها مبنية على قواعد لغوية، ومن هذه المسائل الفقهية:

— أن الله تعالى قال في بداية هذه الآية: "إذا" ولم يقل: "إن" ومن المعلوم أن أداة الشرط "إذا" تستعملها العرب فيما لا بد من وقوعه، ومن ثم تقول بوجوب القيام إلى صلاة الفريضة.

كما أن أسماء الشرط كذلك تدل على العموم، والعموم الذي يدل عليه اسم الشرط "إذا" هو عموم الزمان، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾: في أي زمان قمتم إلى الصلاة وجب عليكم الوضوء.

— قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾.

اختلف أهل العلم في مسح الرأس في الوضوء: هل يجب استيعاب الرأس كله عند المسح، أم يجزئ مسح بعضه؟

فذهب الإمام مالك، وهو المشهور عن الإمام أحمد، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير، ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين، والشيخ عبد الله الفوزان، ذهبوا جميعاً إلى وجوب استيعاب الرأس بالمسح، ودليلهم على ذلك من اللغة: أن الباء في اللغة العربية لا تأتي للتبعض أبداً، فلا يكون المراد من الآية: وامسحوا ببعض رؤوسكم.

قال أبو بكر غلام الخلال: سألت ابن دريد وأبا عبد الله بن عرفة عن الباء تبعض؟ فقالوا: لا يعرف في اللغة أنها تبعض.

وقال ابن برهان: من زعم أن الباء تفيد التبعض فقد جاء أهل اللغة بما لا يعرفونه.

وأنكر كذلك ابن جني ورودها للتبعض. وقال: إنه شيء لا يعرفه أهل اللغة. 17

- وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

قرئ قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾. بفتح اللام: عطفاً على "وجوهكم" المنصوبة، وقرئ كذلك بكسر اللام؛ عطفاً على "رؤوسكم" المحرورة. 18

والوجه في ذلك: أن تنزل كل قراءة من القراءتين على حال من أحوال الرجل، وللرجل حالان:

الأولى: أن تكون مكشوفة، وحينئذ يجب غسلها، كما هو معلوم، فتكون القراءة بفتح اللام، و"أرجلكم" معطوفة على "وجوهكم"، فيجب الغسل.

والثانية: أن تكون مستورة بالخف ونحوه، وحينئذ يجزئ المسح، ولا يجب نزع الخف، وغسل القدمين، وتكون القراءة بكسر اللام، و"أرجلكم" معطوفة على "رؤوسكم".

المطلب الرابع: البلاغة وإعجاز القرآن

يبدو من خلال مطالعة المصادر البلاغية أن التأليف في جوّ البيان وُلد في جوّ القرآن الكريم، ولو تتبعنا تاريخ البيان العربي لوجدنا أنه كذلك نشأ وأبغى واكتهل في جوّ القرآن، يدلنا على ذلك أن العلماء منذ عهد أبي عبيدة كانوا يضعون نصب أعينهم حين يؤلفون في البيان قضية الإعجاز، وإن كانوا يضعون بجانب ذلك أغراضاً أخرى، كمعرفة السريّ والمتخلف من الكلام، وكالقدرة على إنشاء الجيد من الشعر والنثر، واختيار الجيد منهما، فإنّ المتعلم إذا "فاته هذا العلم، مزج الصفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر... وساء اختياره، ودلّ على قصور فهمه" 19.

وتعدّ البلاغة العلم الذي ارتبط إلى اليوم بالإعجاز القرآني، حيث أجمع جل علماء العربية على أن البلاغة هي أهم وجوه الإعجاز؛ يقول الخطابي: "اعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني" 20، وحدد الرماني إعجاز القرآن في سبع جهات، منها البلاغة، وهي عنده "على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان" 21؛ وهي كلها قضايا لها ارتباط

باللغة عامة. واعتبر الجرجاني أن إعجاز القرآن يعود إلى نظمته، وربط النظم بالنحو، حيث يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهتج فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخلّ بشيء منها"²².

من هذا المنطلق يرى السكاكي أنّ من أهم البواعث على دراسة البلاغة طلب الاستعانة على فهم كتاب الله، فهو يذكر في مقدمة كتابه (المفتاح) أنه إذا كان المراد من علم الأدب مجرد الوقوف على بعض الأوضاع فذلك أمر ميسور، "أما إذا خُصّنت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطأ في العربية، وسلوك جادة الصواب فيها، اعترض دونك منه أنواع تلقى لأدناها عرق القرية، ولا سيما إذا انضم إلى همتك الشغف بالتلقي لمراد الله تعالى من كلامه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.²³

وأكد الزمخشري في مقدمة كتابه (الكشاف) على هذا الأمر، حيث نقل قول الجاحظ: "وليس كل ذي علم يستطيع أن يغوص على أسرار التفسير، وأن يدرك لطائف الآيات"²⁴، ثم جعل القدرة على ذلك وقفًا على من برع في علمي المعاني والبيان.

المبحث الثالث: اللغة العربية مدخلا إلى فهم المصادر الإسلامية

يحاول هذا المبحث بسط القول في أهمية اللغة العربية في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، فكما هو معلوم تعتبر اللغة هي وعاء الفكر، ووسيلة توصيله وتداوله، وفي حضنها ينمو ويتطور؛ ولذلك تُختار لغات الرسل تبعاً للغات أقوامهم؛ ليكتمل الفهم، وتُبنى القناعات، وتقوم الحجة على الذين يتخلفون عن ركب الحضارة الذي يقوده الرسل رضوان الله عليهم، لذلك كان لزاماً علينا توضيح هذا الترابط المهم بين الحضارة الإسلامية واللغة العربية، باعتبار هذه الأخيرة مقوماً رئيساً في البناء والنهضة، وتجلى هذه العلاقة الوطيدة من خلال اعتبار علوم اللغة العربية مقوماً أساسياً في فهم المصادر الإسلامية، فلا يمكن الاستغناء عن الأدوات اللغوية في فهم أمات الكتب في شتى العلوم والمعارف التي أنتجها العلماء المسلمون، لذلك فهي ضرورية لفهم الخطاب المعرفي الإسلامي بكل أصنافه.

المطلب الأول: اللغة العربية أساس البناء الحضاري

إن اللغة العربية لها جذور تمتد عبر العصور، وإن تاريخ اللغة البشرية تشهد أن اللغة العربية إحدى بنات اللغة السومارية، وتمتاز عن اللغات الأخرى من حيث إعرابها وبلاغتها وهي غنية بمفرداتها، لذلك فهي تعتبر الآلية الضرورية لفهم المصادر الإسلامية. ويشهد التاريخ أن هناك علوماً غير العلوم الإسلامية فمبادئها قائمة على اللغة العربية مثلاً علم التاريخ مبادئه تقوم على مقدمة ابن خلدون وكذلك علم الجبر، ومبادئ علم الطب وغيرها من العلوم وضع مبادئها المسلمون باللغة العربية، وكذلك اللغة العربية تتمثل جسراً تربط بين الثقافة الإسلامية والثقافات العامة، وهذا سبب يجعل اللغة العربية تنتشر في كل مجتمع عربياً كان أو أعجمياً، فلا تخلو ولا تفرغ بقعة من بقع الأرض إلا وفيها مسلم يمارس أوامر الشريعة ويطبق أحكام الدين عن هذه اللغة. 25

وترتكز الحضارة العربية والإسلامية على اللغة العربية بصورة بارزة، ذلك أن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم كانت لغة شعر ونثر، لا تتجاوزهما إلى إبداعات أخرى أو فنون متعددة، لكن نزول القرآن الكريم باللغة العربية دون غيرها من اللغات أهل اللغة العربية لتكون لغة حضارة تعتمد على العلم والفكر والأدب فكانت لغة تنتقل إليها حضارات الهند وثقافة اليونان وعلوم العصر السائدة في القرن السادس الميلادي، ثم حدث التطور الهائل للغة العربية بفضل هذه الثقافات العالمية المتعددة فأبدع علماء العرب من مختلف الأجناس وأحدثوا علوم عصرية رائعة أضاءت جنبات العالم وأسست لحضارة عالمية عصرية متقدمة كانت ولا تزال رافدة زاخرة للحضارة الإنسانية العالمية المعاصرة والتي قال عنها أحد المستشرقين: "لولا الحضارة العربية والإسلامية لتأخرت الحضارة العالمية المعاصرة عدة قرون".

ويستهدف هذا المبحث تجلية دور اللغة العربية في الحضارة العربية والإسلامية وكيف تمكنت هذه اللغة من استيعاب الحضارات العالمية السابقة عليها.. وإبداع علوم وفنون جديدة باللغة العربية التي أصبحت عماداً ولسان هذه الحضارة.

فاللغة العربية لبثت في حضن الحضارة الإسلامية ويرجع إليها كل من يعتنق الإسلام أو يمارس أحكام الشريعة الإسلامية على ظهر الأرض. وبعد تعاقب الأزمان قد تفقد اللغة وجودها ولو كانت لها جذور تمتد عبر العصور البعيدة مثلاً اللغة

السنسكريتية واللغة العبرية والآرامية والسومارية وغيرها من اللغات، لأنه مع تطور الزمن يتغير مذاق الأدب وينجب الدهر بعض كلمات جديدة ويمحو بعضا آخر من الكلمات التي لها قدم السن، وكذلك عند تبادل الحضارة بين الشعب والآخر تفقد اللغة نقاءها و ثمة تدخل كلمات من لغات أخرى، وكذلك حضارة زاهرة تجعل الناس ينطقون لغتها و يتتعدون عن لغات أمهاتهم، وأبرز مثال على ذلك في آسيا أن اللغة الإنجليزية قد سادت على جميع الألسن التي لها ثبات في هذه الأرض منذ أوان بعيدة، وكذلك اللغة الفرنسية تسود على القارة الإفريقية، فتفنى اللغة أمام الاستعمار الاقتصادي و السياسي كما تموت حضارة ذات دولة متخلفة أمام حضارة ذات دولة متقدمة.

لذلك نجد مثلا أن إتقان اللغة العربية شرط ضروري من شروط المفسر. ونتلمس ذلك من خلال منافحة الإمام الشافعي والإمام الشاطبي عن عربيّة القرآن؛ واعتبرها شرطا ضروريا للمفسر لأنّه لا يُعقل أن يفسّر أحد القرآن وهو يجهل اللغة العربية التي نزل بها، ففهم اللغة العربية شرط ضروري من شروط المفسر، قال الإمام الشافعي: "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنّه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفريقها، ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها. 26

كما ذهب الإمام الشاطبي إلى ما ذهب إليه الشافعي حول عربيّة القرآن، وبين أنّه لا سبيل إلى فهمه (أي: القرآن) من غير لغته، قال الشاطبي: "وإنما البحث المقصود هنا أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، وقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: 44]، إلى غير ذلك مما يدلّ على أنّه عربي ولسان العرب، لا أنّه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة". 27

المطلب الثاني: اللغة العربية والخطاب الشرعي

إن ارتباط كتاب سماوي مقدس بلغة بعينها - كارتباط الإسلام للغة العربية - أمر لم نعرفه لغير هذا الدين، ولغير تلك اللغة، وإذا كان غير القرآن من الكتب السماوية المقدسة - كالإنجيل مثلا - قد ترجم إلى لغت كثيرة، وبقي على ما هو عليه، من كونه كتابا تعبديا مقدسا، فإن القرآن قرآن بلفظه ونصه، لم يترجم، ولا يمكن أن يترجم، وإن ترجمت مضامينه ومعانيه، وإن مضامينه ومعانيه المترجمة لا تسمى قرآنا، ولا يصح أن تكون - في الإسلام - كتابا تعبديا، لأن القرآن ليس قرآنا بمضامينه ومعانيه فقط، وإنما هو بالمعاني والألفاظ والأسلوب، بالنظم والأفكار جميعا. 28

والمثال في الآيات القرآنيّة، والناظر في تاريخ اللغة العربية والقضايا النحوية - يدرك العلاقة الجدليّة الوطيدة التي تجمع بين الخطاب الشرعي والدراسات اللغويّة، ويُخطئ من يظن أنّ النحو مجرد قواعد جافّة لا علاقة لها بالوحي؛ بل إنّ أساليبه العربية هي التي تؤثر في قلوب المؤمنين المتذوّقين للغة العربية وتحرك مشاعرهم.

ولذلك فإن السلف الصالح يرى أنه لا يحمل لأحد يومن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلسان الشريعة.²⁹ فكل ما كان من المعاني العربية التي لا يبنى فهم القرآن إلا عليها، فهو داخل تحت ظاهر القرآن، وكل معنى غير جار على الكلام العربي الفصيح ليس من علوم القرآن، فمن لم يفهم خطاب العرب لا يستطيع الاستنباط من أصول الشريعة، فلا بد لذلك من العلم بالعربية وعلومها - كما قلت - إلى حد يميز به بين صريح الكلام وكنائته، ظاهره ومؤوله، مجمله ومفسره، حقيقته ومجازه، عامه وخاصه، محكمه ومتشابهه، مطلقه ومقيده، نصه وفحواه، كنهه ومفهومه، فلا يفهم الشرع فهما صحيحا بغير ذلك، ومن ثم أوجب الشافعي (ت 204هـ) (35) على كل مسلم تعلم ما يمكنه من ذلك ما استطاع، (36) وقال مالك: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا".

فمن جهة نجد أن القرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية من الضياع، فاكسبت شرف الحفظ منه، ولولاه ما نالت تلك المكانة المرموقة التي حظيت بها من قبل المهتمين بها على مر التاريخ، وبفضله يستحيل أن تتعرض للاندثار والانقراض؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن من الضياع والتحريف والتغيير...، بأن هيأ له من أسباب الحفظ والرعاية ما لم يهياً لغيره من الكتب، ومن أجله هيأ للغة القرآن من أسباب الحفظ ما لم يهياً لنظيراتها من اللغات؛ لأن اللغة العربية لغة القرآن، فحفظها مستمد من حفظه، ووجودها من وجوده.

ومن جهة ثانية نجد أن فهم اللغة العربية له أثر كبير في فهم الخطاب الشرعي فهماً صحيحاً يجعل المسلم صائب الرأي، سديد الفهم، مدرّكاً للتأويلات التي تحملها نصوص الوحي بدون إفراط لا يقصده العرب في مخاطباتهم بمثله، ولا تفريط غير معهود عليهم؛ لذلك جعلت اللغة العربية وسيلة أساسية وأداة ضرورية لفهم النصوص الشرعية؛ بل إنَّها وعاء العلوم الإسلامية كلّها، وكلما ابتعدنا عن فهمها، ابتعدنا عن فهم القرآن، وكلما كانت الأجيال اللاحقة للجيل الأول أقرب، كانت للغته أفهم، ولتدبر معاني القرآن أجدر.³⁰

ولقد كانت اللغة العربية هي لغة العلم والثقافة والأدب وما زالت وثيقة الأواصر بهوية الثقافة الإسلامية والدينية وخصائصها، فقد وعت منذ أمد بعيد. وإننا نعرف بمعرفة جيدة إلى أقصى الغاية من المعرفة أن لكل مجتمع وشعب وقوم ثقافته التي يتميز بها عن غيرهم، فالثقافة في أي شعب ومجتمع لن تُعرفَ وَ تَظْهَرَ إلا بظهور لغته بقوة و الحفاظ عليها بشدة لأن اللغة هي مرآة ثقافة مجتمع وشعب وقوم، وهي الوسيلة التي تستخدمها الشعوب للتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة: أي عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها، ويوجد تكامل بين اللغة والثقافة، وكلاهما يكتسب بصورة اجتماعية، فالتكامل بين اللغة والثقافة على درجة كبيرة من الأهمية، وتبرز تلك الأهمية بوضوح في مجال تعليم اللغة العربية. ولا شك في هذا الأمر التاريخي ولارب فيه بأن اللغة العربية ورثت كنوز المعرفة من الحضارات الهندية والفارسية والرومانية واليونانية والمصرية القديمة. وإنها لغة الأدب الحديث من الطراز العالمي ولغة الطلب في السوق. وإنها كنز المعرفة غير المستكشف إلى حد كبير ولغة مكرسة لخدمة العلم والمعرفة في شكل عشرات الآلاف من المخطوطات في الهند وخارجها.³¹

تبين من خلال البحث بعض مظاهر التداخل والتكامل، بحيث إننا حاولنا ما أمكن كشف الحجب عن مظاهر التساند والتعاقد بين علوم الشريعة الإسلامية وعلوم اللغة العربية، وبيننا ذلك من خلال أربعة مستويات رئيسة هي علم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو وعلم البلاغة، باعتبار هذه المستويات اللغوية كان لها توظيف مهم وكبير في مصادر علماء الشريعة الإسلامية ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث نذكر:

- وجود محاولات قديمة في تطوير القواعد المعتمدة على التحليل اللغوي للعلوم الشرعية. فبعد أن كانت محاور علم الأصول هي علوم اللغة، والكتاب والسنة وعلومهما، والأحكام الشرعية، أضيف إليها القواعد المنطقية لدى المتكلمين الأصوليين. وأعاد الإمام الغزالي ترتيب أبوابه ومسائله، وأبرز المسائل غير الأصلية في علم أصول الفقه. وحاول الإمام الشاطبي توجيه مباحثه نحو المقاصد الشرعية. ولعل الاستفادة من مبادئ العلوم الإنسانية المتعلقة بربط النصوص بالواقع، وفهم الخصائص النفسية والاجتماعية للمجتمع الذي يطبق فيه النص يفيد في تطوير منهجية استنباط الأحكام الشرعية وتطبيقها

- تبين أيضاً أن المسائل اللغوية أساسية في كثير من العلوم الشرعية الفقهية والعقدية، لذلك فالحاجة ماسة إلى تطوير منهجية البحث اللغوي فيها، وتحديد الأداة اللغوية لها.

- أهمية المعرفة اللغوية العربية في تفسير القرآن الكريم، فإن لها صلة بأسس التفسير بصفة عامة، والمبادئ اللغوية في تفسير النصوص في مناهج التفسير، لذلك يجب توظيف الأدوات اللغوية في التفسير اللغوي البياني للقرآن ليدرج المواقف الخطائية له، ومعرفة معهود الخطاب لدى العرب، وأنواع المعهود وتأثره بالخبرات التاريخية، وسياقات ورود النصوص الشرعية، ومعرفة التناسب بين الآيات والسور، والانسجام بين تراكيبها، وأجزائها، وأثرها في التعرف على الوحدة الموضوعية القرآنية، وأوجه استخدام وسائل الربط فيما يتعلق بقرائن الكلام وعناصره في فهم النصوص، وأنواع دلالات الألفاظ القرآنية، وأساليب التعامل مع مفردات القرآن في ضوء الجهود التي قدمت في التراث الشرعي في تحقيق الترادف، والمجاز وما سواهما في القرآن الكريم، وأثر التطور الدلالي في فهم آياته، وصلة مراعاة نظمه باستيعاب رسالته، والتفكير في تطبيقها على الواقع. وتناقش أهمية ترجمة القرآن، ومواقع استخدامها، وآراء العلماء في اعتمادها، وأثرها في التطبيقات العملية للرسالة القرآنية. تتناول المادة أسس وضع مصطلحات الأسانيد ودقة الفروق بينها، والقضايا المبنية على الربط بين محتوى المتن وظروف الراوي، وقواعد معرفة لغة الحديث، وفقه مضامينه، وأنواع دلالات ألفاظه، والربط بين هذه الأنواع وبين ما ورد في دلالات الألفاظ القرآنية، والمباحث اللغوية المتعلقة بنقد متن الحديث والعلاقة بين متن الحديث وسنده وقائله.

ومن أهم المقترحات التي تولدت نتيجة هذا الكل الذي ذكرنا نذكر:

- ضرورة التركيز على الجانب الأخلاقي لاستخدام اللغة، والمصطلحات اللغوية الأخلاقية الأساسية والثانوية، وآثارها الفكرية، والشرعية، والعقدية، والحضارية، والتوجيهات الأخلاقية اللغوية، وأثر الكلام على العقيدة قولاً، وسماعاً، وانعكاس اللغة للعقيدة، وصلة العقيدة بالصياغة اللفظية للواقع، ودور الحرية، والإرادة في استخدام الكلام، والمسألة العقدية المتصلة بالكلام النفسي، وقضية الاستدلال على المذاهب العقدية من خلال المسائل اللغوية، وصلة العقيدة بقضايا اللفظ والمعنى. وتدرس أسس اختيار لغة الدعوة، وأثر نوع اللغة في الإقناع بالاتجاه العقدي، والفكري، والآثار النفسية، والاجتماعية، والفكرية للتعامل اللغوي في القيام بالدعوة إلى الله، وأهمية المعرفة والثقافة اللغوية للداعية.

- أهمية تطوير الأسس اللغوية في العلوم الشرعية في الآراء المتعلقة بالقياس، والمعهود، والسياق، والجاز، وغيرها، وما يؤدي إليه اختلاف المواقف منها في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام والمفاهيم منها
- عدم ربط المصطلحات الشرعية بالمعاني اللغوية كما جرت به العادة في العلوم الشرعية حيث يقدم المؤلف المعنى اللغوي، ثم يعقبه بالمعنى الاصطلاحي الشرعي؛ إذ إن نصوص القرآن والحديث تتضمن إعادة تحديد لبعض المعاني اللغوية، مما لم تكن معهودة في العرف اللغوي العام قبل التنزيل، على الرغم من ارتباطها بالمعهود اللغوي العام. ويلحظ أن المعاني اللغوية التي تذكر للمصطلحات الشرعية لا تعكس في بعض المواضع صورة مكتملة لما يمكن أن يرد لها المصطلح لغوياً؛ لأن المؤلفين يهتمون في الغالب بالمعاني المعينة على استيعاب المفهوم الشرعي للمصطلح. وتفيد هذه الملاحظة أن معرفة المعهود الشرعي تكفي في فهم المصطلحات الشرعية، أما إذا كان فهم المعهود الشرعي متعلقاً بالمعهود اللغوي العام فيكون إيراد المعهودين معاً ضرورياً، كما قد يحدث في ألفاظ العقود مما يفهم في ضوء أعراف الناس القائمة في مخاطبتهم.

الهوامش

* رشيد بلحبيب، الأستاذ المشرف، قسم: علوم اللغة العربية - لغويات عربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، الرمز البريدي 93000، قطر.
Rachid BELAHBIB, the supervisor, Department Of linguistics studies, University of QATAR, AL-DOHA, Postal Code 93000, QATAR. belahbibr@gmail.com

- ¹ أبو القاسم الزجاجي، لإيضاح في علل النحو، تح، مازن المبارك، ط 4، دار النفائس، بيروت الطبعة: الثالثة - 1399 هـ - 1979 م.
- ² أبو الفتح عثمان ابن جني "الخصائص" تحقيق عبد الحميد هنداي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013، ص 88.
- ³ عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، تح محمد حسن عواد، دار عمار - عمان، 1985، ط 1، ص 38.
- ⁴ المرجع نفسه، ص 38.
- ⁵ المرجع نفسه، ص 17.
- ⁶ الأمدي، علي بن محمد - الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي - الرياض، ط 1، 2003، ج 1، ص 21، 22.
- ⁷ الإسنوي، مرجع سابق، ص 49 - 50.
- ⁸ السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تعليق: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص 9.
- ⁹ طويلة، عبد الوهاب عبد السلام - أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، ط 2، 2000، ص 5.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص 87.
- ¹¹ الأسنوي، مرجع سابق، مقدمة المحقق.
- ¹² الأمدي؛ الإحكام في أصول الأحكام، تح، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1402 هـ (1/ 12).
- ¹³ أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، دمشق.
- ¹⁴ الإسنوي، الكوكب الدرّي، مقدمة المحقق.
- ¹⁵ ابن جني، الخصائص، (1/ 48).
- ¹⁶ أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن، النحو والفقه، موقع الألوكة:

https://www.alukah.net/literature_language/0/117165/#_ftn6

- ¹⁷ ولكن ليعلم أن في ورود الباء للتبويض خلافاً بين علماء اللغة، فقد قال ابن الملقن رحمه الله في شرحه على "عمدة الأحكام" المسمى بـ "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام" 339/1، 340، معلقاً على كلام ابن جني رحمه الله، قال: وهو عجيب منه - يعني: ابن جني رحمه الله - فقد ورد في أشعارهم، ونص عليه الأصمعي، والقنطي، والفارسي في "التذكرة"، وابن مالك، وحكاها ابن القواس في "شرح ألفية ابن معطي"، عن ابن كيسان، وحكاها ابن الخباز عن العبدّي. اهـ

- ¹⁹ أبو هلال العسكري من مقدمة كتاب الصناعتين، تح، علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ، ص: (2، 3).

- ²⁰ الخطابي، أبو سليمان محمد - بيان إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر - ذخائر العرب، 16، ط3، دت، ص27.
- ²¹ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى - النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص76.
- ²² الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد - دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992، ص81.
- ²³ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط. دار الكتب العلمية، ص: (38، 39).
- ²⁴ محمود بن عمر الزمخشري، الكشف، (96/1)، ط. مكتبة العبيكان.
- ²⁵ محمود الحق صديق، اللغة العربية مدخل إلى فهم المصادر الإسلامية، موقع شبكة المدارس الإسلامية (بتصرف): <https://www.madarisweb.com/ar/articles/2929>
- ²⁶ الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط 1، 1358هـ / 1940م (ص: 50).
- ²⁷ الشاطبي: الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة، ط 1، 1417هـ / 1997م (2/ 102).
- ²⁸ علي آيت علي، ارتباط الشريعة الإسلامية باللغة العربية، مجلة دعوة الحق، العدد 316 رمضان 1416 / يناير-فبراير 1996.
- ²⁹ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 3، 1421هـ - 2000م ج : 1
- ³⁰ عبدالرحيم باحمو، اللغة العربية آلية ضرورية لفهم الخطاب الشرعي، موقع الألوكة، https://www.alukah.net/literature_language/0/88614/#_ftnref3

³¹ معراج الدين الندوي، مكانة لغة الضاد العلمية في فهم القرآن وتفسيره،

<http://www.tilmeejournal.com/SlideDescription.aspx?ID=%2020>

قائمة المراجع والمصادر:

1. أبو القاسم الزجاجي، لإيضاح في علل النحو، تح، مازن المبارك، دار النفائس، بيروت ط 3، 1399هـ - 1979م.
2. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح عبد الحميد هنداي، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013.
3. عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، تح محمد حسن عواد، دار عمار، عمان، 1985، ط 1.
4. الآمدي؛ الإحكام في أصول الأحكام، تح، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ (1/ 12).
5. السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تعليق: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 2006.
6. طويلة، عبد الوهاب عبد السلام - أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، ط2، 2000.
7. أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، دمشق.
8. أبو هلال العسكري من مقدمة كتاب الصناعتين، تح، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ.
9. الخطابي أبو سليمان محمد، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ذخائر العرب، 16، ط3.
10. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى - النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .
11. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد - دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992.

12. علي آيت علي، ارتباط الشريعة الإسلامية باللغة العربية، مجلة دعوة الحق، العدد 316 رمضان 1416 / يناير-فبراير 1996
13. محمود الحق صديق، اللغة العربية مدخل إلى فهم المصادر الإسلامية، موقع شبكة المدارس الإسلامية (بتصرف):
<https://www.madarisweb.com/ar/articles/2929>
14. عبدالرحيم باحمو، اللغة العربية آلية ضرورية لفهم الخطاب الشرعي، موقع الألوكة
https://www.alukah.net/literature_language/0/88614/#_ftnref3
15. معراج الدين الندوي، مكانة لغة الضاد العلمية في فهم القرآن وتفسيره
<http://www.tilmeezjournal.com/SlideDescription.aspx?ID=%2020>
16. أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن، النحو والفقه، موقع الألوكة
https://www.alukah.net/literature_language/0/117165/#_ftn6

LIST OF REFERENCES AND SOURCES IN ROMAN SCRIPT

1. abu al-qasim al-zajajī, al-iidaḥ fi 'ilal al-naḥw, taḥ mazin al-mubarak , dar al-nafāis , bayrut, ṭ 3, 1399 h - 1979 m.
2. abu al-faṭḥ 'utman ibn jinī, al- ḥaṣāiṣ, taḥ 'abdu al-ḥamid hindawi , j 1 , dar al-kutub al-'ilmiyat, bayrut , lubnan , 2013.
3. 'abd al-raḥim bnu al-ḥasan al-asniwī, al-kawkab al-durī fimā yataḥaraj 'ala al-usul al-naḥwiat min al-furu' al-fiqhiyat , taḥ muḥamad hasan 'awad, dar 'ammar, 'umman, 1985, ṭ 1.
4. Al-āmidī, 'aliy bnu muḥamad, al-iḥkam fi usul al-aḥkam, ta'liq: 'abd al-raazzaq 'afifī , dar al-asmi'ī, al-rriyad, 2003, ṭ 1
5. Al-sayutī , jalal al-ddin , al-iqtiraḥ fi 'ilmi al-usul, ta'liq: maḥmud sulayman yaqut, dar alma'rifat al-jami'iyat, 2006.
6. tawīlat 'abd alwahhab 'abd al-salam, aṭar al-luḡat fi iḥtilaf al-mujtahidin , dar al-ssalām , ṭ 2, 2000.
7. abu al-barakāt al-anbarī, al-inṣaf fi masail alḥilaf bayna al-nnahwiyyīn al-basriyyīn wa al-kufiyyīn, dar al-fikar, dimašq.
8. abu hilal al-'askari, min muqaddimat kitab al-ṣṣina'atayn, taḥ, 'aliyu din muḥammad al-bjjawi wa muḥammad abu al-faḍl ibrahim, al-maktabat al-'asriyat, bayrut, 1419 h.
9. al-ḥatabi abu sulayman muḥammad, bayan i'jaz al-quran dimna ṭalaṭ rasail fi i'jaz alquran, taḥ, muḥammad ḥalf al-lah wa muḥammad zaḡlul salam, dar al-ma'arif, miṣar , daḥair al-'arab, 16 , t 3.
10. Al-rummanī, abu al-hasan 'ali bnu 'isā, al-nnukat fi i'jaz al-quran, dimna ṭalaṭ rasayil fi i'jaz alquran.
11. Al-jurjanī, 'abdu al-qāhar bnu 'abd alruhmin bin muhamad - dalayil al'ieejaz , taeliq: mahmud muhamad shakir , mutbaeat almadanii , alqatirat , 1992.
12. 'ali ayat 'ali, irtibat al-ṣṣarī'at al'iislatmiat bi allughat allearabiati, majalat daewat alhiq, aleadad 316 ramadan 1416/ ynayr-fbrayr 1996
13. mahmud al-haq sadiq, al-luḡat al-'arabiyat madḥal ila fahmi al-masadir al-islamiyat, mawqi' ṣabakat al-madaris al-islamiya (bitasaruf): <https://www.madarisweb.com/ar/articles/2929>
14. 'abdu al-rahim bāhmu, al-luḡat al-'arabiyat aliyat daruriyat lifahmi al-ḥitab al-ṣar'i, mawqi' al-alukat, https://www.alukah.net/literature_language/0/88614/#_ftnref3
15. mi'raj al-din al-nadawi, mkant luḡat al-ddad al-'ilmiyat fi fahmi al-quran watafsiruhi, <http://www.tilmeezjournal.com/SlideDescription.aspx?ID=%2020>
16. abu anas ashraf bnu yusuf bnu hasan, al-nnahwu wa al-fiqhu, mawqi' al-alukat: https://www.alukah.net/literature_language/0/117165/#_ftn6



JOURNAL INDEXING

مَجَلَّةُ التَّرَاثِ

AL TVRATH Journal (ALTJ)

ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات

Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies

Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934

ISSN: 2253-0339

E-ISSN: 2602-6813



TOGETHER WE REACH THE GOAL



Scientific Indexing Services



A Clarivate Analytics company



ScienceGate Academic Search Engine



الكشاف العربي
للإستشهادات المرجعية